

وجوه

تعبير... وجه.. انسان.. عالم بلا نهاية يحمل في طياته كل امكانات المعنى ويحملنا معه الى عوالم مسحورة. الوجه ايعاز أو ذريعة أو دعوة للعودة الى ذاتنا وعوالمها بسياقاتها المتنوعة ولاستدعاء لحظات مرت أو ستمر. كل وجه تعبير عن حالة انسانية عن عالم أكبر فأكثر بكامل نسيجه. انه دعوة الى عالم أوسع مما نتصور ونجاح الوجه في الصورة أو الصورة في الوجه يكمن في طبيعة العالم أو العوالم التي تؤدي الى استلهاهما وتوحي بها وتعطيل كل ما عداها. فتكون الصورة وسيلة أو جسراً لتلك العوالم ومحاولة اقتناص جوهر الوجود الانساني من خلال تعابير الوجه في لحظات عابرة.

الفن هو القدرة على الابداء بهذه العوالم الخيالية أو التي تكاد أن تكون حقيقية ونجاح وجوه محمد غني يكمن في سحرها وقدرتها على أسرنا فستسلم لها لتقودنا حيث نشاء ويشاء الخيال. وجوه تتوالى تحمل في ثناياها كل امكانات المعنى: الحياة/الموت، السعادة/الشفقة، الفرح/الحزن، التصميم/اللامبالاة، الارادة/الضعف، القوة/الوهن.

ما الذي تحمله هذه الوجوه في طياتها من معاني؟ قد لا تعني لنا بداً شيئاً. وجوه لا تكاد نتعرف عليها بتعابيرها المختلفة: جامدة فارغة تنن تحت وطأة وجودها أو فرحة جذلة بكينورتها أو شابة غير مبالية بتقل الحياة أو كهولة متعبة وتعابير اخرى كثيرة: متحذية، مصممة، ساهمة، متسائلة، مقطبة، مترفعة، باتسة، برينة وغير هذا وذاك. ياسرنا الوجه والتعبير فنسلم له القيادة. ومع كل وجه نلج عالماً بأكمله: عالم حزين أو عالم سعيد، عالم حالم أو واقعي. وجوه تتوالى غير آبهة بنا تجرنا معها. هل هي وجوه لشخص محدة؟ قد يكون ذلك لكن لا يهم من ومنى وكيف. انما وحدها كافية لتحرير سلسلة من الانفعالات والأحاسيس والمشاعر من جانبنا.

يجرنا الفنان انما رسوم لأشخاص يعرف ويندكر بعضهم ولا يتندكر بالآخر منهم من الذكرة. لكنه لا

يرسم صورهم بوصفها صوراً شخصية وانما بتأثير حالات الفعالية تنحطى وتتجاوز الأشخاص وصورهم. فتعبر عن انطباعاته الذاتية وتفتح الباب عريضاً أمام المشاهد لولوج هذا العالم، عالم الوجوه التي تأسرتنا بغموضها فتنبهنا لكشف مكنوناتها. عيون تحفينا باتساعها وتوجهها المباشر والصريح نحونا فهرب منها اليها أو الى عوالمنا الخاصة حيث يتكرر الحدث الدرامي ذاته.

لنستعرض بعضاً منها: ذلك العجزي من العام ١٩٥٦ ذو العينين اللامعتين والوجه المليء بالماء بجزرة السنين ترى ما هي أسرار ذلك الوجه وما الذي يريد أن يخبرنا عن عالمه؟ كم يمكن أن يكون له من العمر؟ قد يكون شاباً أو معمرًا من يستطيع التكهن بعمر انسان كهذا؟ وجه امرأة عاملة أو فلاحية تردى لباس رأس من السنة ١٩٥٧ يبدو شظف العيش واضحا على قسماات وجهها. تتطلع اليها بجزن وانهاام. ترى هل تشكو لنا صعوبة حياتها ومعاناتها اليومية، حياة الحقل أو العمل وحياتها المترلية، هل هي متزوجة ولديها أطفال؟ من يرعاهم؟ هل يتلقون التعليم أم هل يبحثون هم أيضاً عن لقمة العيش؟ وأسئلة اخرى ترد الى الذهن وتدفعنا الى المزيد من التساؤل والتأمل والمشاركة. وجه فتاة شابة كلها أمل وثقة وتطلع من العام نفسه. تقاطع واضحة ومحددة. ترى ماذا يخفى المستقبل لها؟ تبدو وثقة ومتفائلة تفكر بحبيب أو رفيق وعمل مريح ومثمر وبإسناد مادي ومعنوي ممن حولها. انها ثقة وتصميم الشباب. بعدها بقليل وجه شابة اخرى من العام ١٩٥٨ يفتقد كل ما نجده عند الاولى، وجه تكسوه مسحة واضحة من الحزن والكآبة وخيبة الأمل ونظرة شك وعدم ثقة بالحاضر والمستقبل. العيون تتكلم حتى تسريحة الشعر تعبر عن الاختلاف في الزواج والعالم الذي تعيشه كاتبتهما. وبينهما شابة اخرى من العام ١٩٥٩ تختلف عن رفيقتها حيث تبدو أكثر جدية ويشي مجياها بما يشبه الحزن، حزن فتاة تفكر وتتأمل وربما تكون أكثر حذراً في الركون الى الأشياء والأشخاص واتخاذ القرارات. قد تختلف في طبعيتها أو تجربتها عن زميلاتها. مهما يكن من أمر فقد نجح الفنان في رسم صورة رائعة لها تستوقفنا وتجعلنا نستزيد من مرآها وتأملها.

في أغلب الأحيان يلعب غطاء الرأس أو الشعر الكث أو حتى الظلال دورا في إضفاء جو إضافي من الغموض والسرية حول الشخص يدفنا إلى الفضول والتوقف والمساءلة.

هذا ما نجده في بعض الصور التي تحدثنا عنها وفي بعض الصور الأخرى حيث تأخذ تفاصيل وتلايف لباس الرأس دورا أساسيا في السرد القصصي للصور، كما في صورة الرجل الكفيف الشعر من العام ١٩٦٠ حيث لايسعنا إلا أن نتساءل عن السر الذي تخفيه خصلات الشعر. هل نحن أمام ابتسامة أم تقطبية؟ هل هنالك عاصفة هوجاء تحت المسكون الظاهر؟ أم هل هي رغبة دفينية في الانتقام متخفية تحت الوجه السمح؟ وفي المقابل نجد بعض الرؤوس العارية تخاطبنا صراحة وهم بالنطق أو الإشارة والإيماء إلينا بعضها يعبر عن إرادة وثقة والبعض الآخر يفصح عن ضياع أو سقوط في مناهات العالم كما في الرأس العاري من العام ١٩٥٩ المرمي على الأرض كأنه واحدة من اللقى الأثرية من العصور السحيقة لكن بمعاينة معاصرة. ربما كان هذا الرأس لملك أو رجل ذي نفوذ أو كاهن، لا أحد يعلم. كل صورة وكل وجه يقص رواية ويروي بعالم كامل ونخرج من استطلاع هذه الوجوه بخزين ثمين من الحالات والاطباعات الإنسانية وخبرة جديدة تضاف إلى غيرها من الخبرات التي تغني حياتنا وتجعلنا ممتنين للفن وللفنان على إتاحتهم ذلك.

فاتنة حمدي